خطاب الرسول ﷺ في القرآن العظيم
دراسة تحليلية

أ.م. د/ ماجدة سليمان ياقوت
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المنوفية

ملخص البحث:

تهدف الدراسة إلى تناول رؤية المفسرين للخطاب الموجه للنبي ﷺ في كتاب الله العظيم، من حيث كونه خطابًا خاصًا بالنبي ﷺ أو عامًا ويراد به أمته، ليكون تشريعًا لهم، واتفاقهم أو اختلافهم على خصوصية الخطاب أو عموميته.

والله الموفق والمستعان

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم على خير الأنام؛ نبينا محمد الأمين، الذي أدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده،ﷺ وعلى آله وصحبه ، أما بعد..

فإن ما يقال في تحليل الخطاب ما قد لا يصلح أن يقال بالضرورة في تحليل خطاب آخر.... فتحليل الخطاب حراك دائم، وتفاعل مستمر وحضور حي ....، وتأتي ملائمات الرؤية البينية الأنسب للتضافر مع روافد تحليل الخطاب وانفتاحه ....) [١].

فتحليل الخطاب يتعدد وزوايا الرؤية، والرؤية في دراستي تلك جاءت من الزاوية التفسيرية، ورؤية المفسرين للخطاب الموجه للنبي ﷺ وأشير إلى (أن وضع الباحث نصب عينيه الغاية من الخطاب الذي يمثل مادة التحليل الذي يقوم به يعد أحد أهم المبادئ النظرية التي تؤسس لعملية تحليل دقيقة لأن مراعاة هذه الغاية يحدد الباحث عن أي شيءٍ يبحث) [٢].

وعليه جاءت دراستي، وتقع في تمهيد ومبحثين وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع .

أما التمهيد، وبه مفردتان؛ أولهما : تعريف الخطاب، ثانيهما: الغاية من دراسة الخطاب القرآني.

---

[١] د. عيد بلبع، مقدمة مؤتمر سياقات الدراسات البينية وآفاق تحليل الخطاب ، أكتوبر ٢٠١٩م، موقع اللسانيات وتحليل الخطاب .

[٢] د. عيد بلبع ، دلائل الإحكام ، ص ٦٨ .

وكان المبحث الأول وعنوانه: الخطاب المباشر للنبي ﷺ وألحقت به لونًا آخر من الخطاب، وبه المحاور الآتية ذكرها:

أ- ما كان في مقام التشريع العام .
ب- ما كان في مقام التشريع الخاص .
ج- ما كان في مقام الامتنان.
د- ما كان في مقام الإرشاد والتوجيه.
ه- ما كان في مقام العتاب.
و- ما كان في مقام التعريض.

والمبحث الثاني: وعنوانه : الخطاب الضمني، وبه المحاور الآتية ذكرها :

أ- خطاب التشريف .
ب- ما يعبر بالنبي في مقام التشريع العام .
ج- ما قد يخرج على غير معين ليفيد العموم .
د- ما قد يكون خطاب عين والمراد غيره.

ثم الخاتمة وبها ما توصلتُ إليه من نتائج .

[**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**] (يونس: ١٠)

التمهيد

وبه مفردتان؛ الأولى: تعريف الخطاب.

عَرَّف ابن فارس(٣٩٥هـ): الخطابُ بأنه (كل كلام بينك وبين آخر)[١].

وجاء في اللسان لابن منظور (٧١١هـ) : (الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان)[٢].

وعند أبي البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ): الخطاب،هو (الكَلَام الَّذِي يُقْصد بِهِ الإفهامُ)[٣].

وكذلك جاء عند الزبيدي (١٢٠٥هـ) بأنه (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)[٤] .

وللخطاب في القرآن وجوه؛ عقد لها الزركشي في (برهانه) بابًا بعنوان (وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن)[٥].

وكذلك تناولها أبو البقاء الحنفي في معجمه (الكليات)[٦]، والمقام لا يتسع لبسطها أو عرضها ... فحدود دراستي ومحلها، الخطاب الموجه للنبي محمد ﷺ.

ويجدر بنا الإشارة إلي مفهوم الخطاب عند المعاصرين، فقد كتب المحدثون كثيرًا في (الخطاب) وخصت به مؤلفات كثيرة لديهم حيث إن الباحث في كتاباتهم لا يجد الوضوح الدلالي الذي وجدناه عند القدماء العرب لمفهوم الخطاب ولا نجد أيضًا الاتفاق لدى المحدثين في تعريفهم إياه رغم كثرة ما كتبوه، فقد تعددت التعريفات لديهم وتفاوتت حيث يجعل تحديده من الأمور المستعصية على كثير من الباحثين.....، ونعرض لهذه التعريفات من خلال خمسة أقسام نلخصها فيما يلي :-

الأول : قصره على ماهو منطوق :

حيث يصل المعنى إلى السامع عن طريق الكلام الذي يتجاوز أكثر من جملة وإذا لم يتجاوز الجملة لا يعد خطابًا.

هذا التعريف سبب إشكالية وغموض واضطراب بين مفهوم الخطاب والنص والخلط بينهما، فعد بعضهم ما كان منطوقًا فهو خطاب وما كان مدونًا فهو نص.

في هذا التعريف نجد أن المحدثين البعض منهم وصف التميز بين مفهوم الخطاب والنص لا فرق بينهما وهناك من اتسم في تمييزه بين المفهومين بالغموض والبلبلة وهذا لمن يتعمق ويتأنى في التعريفين يجد أن النص له مميزات تميزه عن الخطاب لذا نجد هذا الغموض في هذا التعريف .

---

[١] ابن فارس:مجمل اللغة، باب الخاء والطاء وماثيلتهما ، ط١، ص ٢٩٥.

[٢] ابن منظور : لسان العرب، مادة: خطب، باب (الباء) فصل (الخاء).

[٣] أبو البقاء الحنفي، الكليات، ص٤١٩.

[٤] الزبيدي: تاج العروس، مادة: خطب.

[٥] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٢ من ص ٢١٧.

[٦] أبو البقاء الحنفي: الكليات، ص٤١٩-٤٢٢ التمهيد (تعريفات)

الثاني: قصره على ماهو مكتوب:

حيث إن المكتوب الذي ينتقل من مُرسِلٍ إلى مُرسَلٍ إليه يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما .

إن هذا التعريف يعد إشكالية حيث اقتصار الخطاب على هذين العنصرين دون غيرهما ولا بد من التنبيه وعدم الانسياق وراءه والتأني في فهمه حيث إذا طبق على الخطاب القرآني حيث نقصر الخطاب الموجه منه على من خاطبهم في لحظة حظا به لهم وهذا يوقع في كثيرٍ من الشبهات التي يوقع فيها الباحثين المقلدين للغرب دون فهم أو وعي .

الثالث: جعله شاملاً للمنطوق والمكتوب :

إن هذا التعريف يعد الخطاب كل ملفوظ، ومكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات حيث التعبير عن الأفكار أو الكتابة، فالنص المكتوب شكل من أشكال الخطاب والكتابة هي التجلي الكامل للخطاب الشفوي، فقد حلت الحروف المكتوبة المؤلفة للكلمات محل الأصوات المنطوقة المؤلفة للألفاظ حيث العمق في وظيفته الاتصالية وتثبيت للخطاب الشفوي ونقل لأفكاره عبر المكان والزمان، فالنص المكتوب وثيقة ملزقة لاستمرار مبادئها ونقلها عبر الزمان والمكان.

ولعل من نافلة القول أن نذكر هنا بأن خطاب الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الموحي إلى حبيبه المصطفىﷺ كان أول خطاب بالتدوين والتوثيق وذلك لأسباب عدة منها أنه خطاب موجه إلى الناس جميعًا في كل مكان وزمان وهذا الخطاب المقدس دستور أراده الله تعالى أن يكون ثابتًا مطبقًا إلى يوم القيامة، قال تعالى :[**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**] [سبأ: ٢٨].

ونجد أن العرب القدماء كانوا مدركين أن القرآن الكريم هو الخطاب المكتوب الموجه من الله تعالى إلى مخلوقاته إشارة منهم إلى مجئ النص القرآني على شكل خطاب .

لذا يذهب بعض الباحثين إلا أن الخطاب يتكون من مجموعة من نصوص مترابطة بعلاقات مشتركة فكل نص خطاب وليس كل خطاب نصًا .

رابعًا: جعله شاملاً لكل ما يؤدي تواصلاً وتفاهمًا :

عرف الخطاب بأنه " ضرب من تضافر الإشارات تكون اللغة فيه عنصرًا تمثيليًا من بين عناصر إشارية أخرى.

إن هذا التعريف جعل الممارسة اللغوية سواء منطوقة أو مكتوبة هي مظهر من مظاهر الخطاب أو أحد عناصر إلا أن القدماء كانوا أكثر دقة إذ قصروا أداة الخطاب على (الألفاظ المفهمة حيث قد يؤدي الإفهام والتواصل غير الألفاظ).

الخامس: جعله دالاً على البناء الفكري لمقولة كاتب أو أقاويله :

ويبدو أنَّ هؤلاء يعدون الخطاب كيانًا لغويًا مقولاً أو مكتوبًا على حدٍّ سواء والاهتمام هنا بالمضمون الفكري للخطاب دون العناية بطبيعة أدائه نطقًا أو كتابة .

وهذا المفهوم ترجع جذوره إلى تصور غربي فلسفي إذ يقول الفيلسوف الفرنسي (ميشيل فوكو): إن ممارسة الخطاب كنوع من التفاعل بين فعل التفكير وفعل الكلام؛ سيكون الخطاب فكرًا مكسوًا بعلاماته، فكرًا جعلته الكلمات مرئيًا.

ونجد أن هذا التعريف يجعل الخطاب يخضع لقواعد معينة تجعله قادرًا على أداء وظيفته في التعبير عن مُراد صاحبه (المُخاطِب) ويفصح عن مدى إمكانية صاحب (المُخاطِب) في طريقة تشكيل ذلك البِناء وتحقيق غرض الخطاب بكيفية التأثير في المتلقى (المُخاطَب) حيث تتجلى قدرته على البناء وتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمتها وهي الإضمار والإقناع[١] .

وما أنتهى إليه هو أن الخطابَ (مرادفٌ للكلام أي الإنجاز الفعلي للغة بمعنى اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية[٢] .

والخطاب حسب (بنفيست) هو كل تلفظ يفترض متحدثًا ومستمعًا تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال[٣] .

وأنَّه اقترن بدلالات جديدة تشير إلى آفاق واعدة من النظر العقلي والرؤى المنهجية، كما تشير إلى أدوات معرفية تعين على فهم الواقع في ممارساته الخطابية المختلفة، وأن أية نظرية عن الخطاب بعامة تتضمن نظرية عن المجتمع بالضرورة.

فالخطاب ليس تجمعًا بسيطًا أو مفردًا من الكلمات ولا ينحصر معناه في قواعد ذات قوة ضابطة للنسق اللغوي فحسب، إنه ينطوي على العلاقة البينية التي تصل بين الذوات، ويكشف عن المجال المعرفي الذي ينتج وعي الأفراد بعالمهم، ويوزع عليهم المعرفة المبينة في منظومات خطابية سابقة التجهيز[٤] .....)[٥]

المفردة الثانية:

الغاية من دراسة الخطاب في القرآن العظيم.

(فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوُصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبينة لجمل التنزيل، الموضحة للتأويل، لتنفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد ....) [٦]

---

[١] رؤى المحدثين في مفهوم الخطاب، د. مصطفى عبد كاظم الحسناوي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل، العدد / ٣٨ نيسان ٢٠١٨م، ص ١١٥٩ : ١١٦٢ (بتصرف وتلخيص). – محاضرات في تحليل الخطاب، إعداد: أ. محمد مليانى، كلية الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب الغربي ، جامعة أبي بكر بلغايد – الجمهورية الجزائرية الديمقراطية ، بتصرف / ١٤: ٧٣ .

[٢] نقلاً عن سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص ٢١، ط٣، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

[٣] نقلاً عن محمد الباردي: انشائية الخطاب ، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٤م.

[٤] نقلاً عن د. جابر عصفور: آفاق العصر، ص ٤٩-٥٠ ط دار الهدى ١٩٩٧م.

[٥] لامية بوداود : تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر ص١٣-١٤، الرابط على شبكة المعلومات : https://bu.umc.edu.dz/theses/arabe/ABOU3210.pdf التمهيد (تعريفات)

[٦] الأزهري (٣٧٠هـ) : تهذيب اللغة، ج١، ص ٦، مقدمة المؤلف. التمهيد (الغاية)

فإنه من المؤكد الذي لا يختلف عليه اثنان أن الغاية الأم للقرآن الكريم هي التمكين لدينٍ في الأرض، وهذا التمكين يأتي على مستويات متعددة:
١) فمنها التمكين للدين وللقرآن نفسه في نفس الإنسان المكلف بتلقي الرسالة وتبليغها.
٢) تأكيد الموقف المحايد المكلف بالرسالةﷺ من الرسالة في تلقيها، وتبليغها وبيان كيفية التبليغ، ومنهج الدعوة، الذي يقوم على أنه ﷺ لا يهدي من أحب، ولا يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين، ولا يحزن على من لم يؤمن.
٣) تحديد موقفه من الذين استجابوا وممن لم يستجيبوا.
٤) دعوة غير المؤمنين بالدين بالخطاب المباشر.
٥) دعوة غير المؤمنين بالخطاب عن طريق الرسول بمقول قول الفعل : قل.
٦) دعوة الذين أسلموا والذين آمنوا إلى مقتضيات ما أسلموا له وما آمنوا به.

فهو بالنسبة للمخاطبين به: بيان للناس، وهو ذكرى للمؤمنين، وهو تذكرة لأولى الألباب ثم أن الخطاب القرآني مواجهٌ بصعوبات وتحديات هو الموجد له وليست مفروضة عليه، وليس ثم من شك في أن هذه الصعوبات والتحديات منشؤها الغاية من الخطاب، ومن أخطر هذه الصعوبات والتحديات ما يلي :
* - صعوبة تتعلق بالبُعد الغيبي، إذ ليس من اليسير أن يؤمن الإنسان بشيء لم يره فهو يقع خارج عالم الشهادة ، ومن ثم نجد التأكيدات والظواهر البلاغية التي تدعم الحجة لتأخذ سبيلها إلى توثيق الدعوة للتوحيد، والدعوة للإيمان بالغيب، والإخبار عن الغيب في الماضي وفي المستقبل، والأمر في الحقيقة لا يقف عند حدود الإقناع لغير المؤمنين ، بل يتعدى هذا إلى حمل المؤمن على تمثل بعض الأمور الغيبية وتصورها في ذهنه .
* - صعوبة تتعلق بالدعوة إلى معتقد ، فإن الغاية في هذه الحالات وأمثالها إنما هي في الحقيقة نزع معتقدات وقَرَتْ في القلوب وسكنت في النفوس وتوارثها الحاضرون الشاهدون عن آباء لهم عندهم إعزاز يصل إلى القداسة في مجتمع قبلي يتخذ من الانتماء دستوراً للحياة ، ثم إقرار عقيدة بديلة في هذه القلوب ذاتها .
* - صعوبة تتعلق بديمومة التواصل ، على مختلف الأزمان وتفاوت الأعصار ، وتباين الوعي باللغة من المتلقين الذين هم أبناء اللغة نفسها .
ـ صعوبة تتعلق بمقاومة نوازع النفس البشرية. في قبول التكاليف والتخلي عن متطلبات تنزع إليها النفس البشرية، ومن ذلك:
* التخلي عن نوازع النفس في الاستمساك بالرأي الفردي .
* التخلي عن متطلبات النفس البشرية في التكاليف التي يحملها هذا النص تتفاوت.
* التخلي عن الملكية الفردية لصالح الجماعة (الزكاة، الصدقة، الكرم) .

* التخلي عن راحة البدن بالنهوض إلى الصلاة ليلاً ونهاراً ، ثم لتبلغ أقصاها في الجهاد والأمر بالقتال ، والإقناع ببذل النفس والتهيؤ للقتل .
* التخلي عن متطلبات النفس البشرية بالامتثال للنهي عن المحرمات ، ففيما يتعلق بالمال : البخل ، الظلم ، أكل المال، الربا ، الغش ، الاستغلال والاحتكار ، وغيرها.
* التخلي عما وقر في النفس البشرية من نوازع الثأر ، بل التخلي عن القصاص المشروع بالتأسيس للتسامح والعفو .

نعم إن الامتثال للتكاليف مبعثه الإيمان بالمكلف، ولكن كيف يمكن لهذا الاستعمال الخاص للغة في الخطاب القرآني أن يحقق النتيجة التي نزل من أجلها بالتمكين الدائم لهذا التكاليف في النفس البشرية المؤمنة؟ كيف يمكن لهذا الاستعمال الخاص للغة في النص القرآني أن يحتفظ لا نقول بتواصله اللغوي بل بتواصله الإعجازي، وإقراره الحقائق في النفوس والتمكين لها في القلوب؟ فلا نقول كيف حقق التواصل مع الذين نزل على مقربة زمانية مكانية منهم، ولكن كيف يحقق التواصل عبر الزمان والمكان ؟[1]

المبحث الأول:
الخطاب المباشر للنبي ﷺ .

(فالقرآن الكريم خطاب متعدد المستويات فعلى حين يأتي رسول الله ﷺ المخاطب، المباشر في الآيات التي يخاطبه بها الحق سبحانه وتعالى فإن الناس يأتون مخاطبًا ضمنيًا، وعلى حين يأتي الناس مخاطبًا مباشرًا في الآيات التي جاء الخطاب " مقول القول" فإن الرسول ﷺ يأتي فيها مخاطبًا ضمنيًا)[2].

والخطابات الموجه للنبي ﷺ خاصة (نجد في أغلبها أن الأمر بالاتباع هو نهي ضمني عن الابتداع وما الابتداع هنا سوى نمط من إعمال العقل وفق مقتضيات قد يراها الرسول ﷺ البشر ملائمة للتواصل مع المشركين ولكن لو حدث هذا التدخل العقلي فإنه ربما يكون بمنطلقاته البشرية خطاب استمالة ومواءمة... ولو كان كذلك لسار في مسار ضدي للمعجزة التي نبهنا دائمًا أن خطابها " خطاب القوة والتحدي" وليس خطاب المواءمة والاستمالة)[3].

[1] د/ عيد بلبع : دلائل الإحكام، ص ٦٨-٦٩ . التمهيد (الغاية)
[2] د. عيد بلبع، دلائل الإحكام، ص ١٥٣.
[3] السابق، ص ١٥٣.

وهذا القسم من الخطاب كان على ألوان منها:-

أ- ما كان في مقام التشريع العام:

كما في قوله تعالى : [**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**][1] .

والمعنى (بلغ ما أنزل إليك جميع ما أنزل إليك وأي شئ أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحد، ولا خائف أن ينالك مكروه وإن لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته .....) [2] .

و(قيل : معناه أظهر التبليغ، لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفًا من المشركين ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس ودلت على أنه ﷺ على أنه لم يُسِرْ إلى أحدٍ شيئًا من أمر الدين لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهرًا وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وحيه)[3] .

ب- ما كان في مقام التشريع الخاص، وشاهده قوله تعالى : [**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**] [التحريم : ١]

(واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله، فحرمه على نفسه ابتغاء مرضات أزواجه)[4]، وتعددت الروايات بشأنه[5]، ولا حاجة بنا إلى ذكرها – في هذا المقام – وما يهمنا هو توجيه الخطاب في الآية الكريمة، فيرى القرطبي أنَّ في الخطاب معاتبة للنبي ﷺ فيقول: (" والله غفور رحيم" لما أوجب المعاتبة، (رحيم) برفع المؤاخذة، وقد قيل: إن ذلك كان ذنبًا من الصغائر، والصحيح أنه معاتبة على ترك الأولى، وأنه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة)[6] .

ويراه (الرازي) تنبيهًا وأنَّ العتابَ وهمٌ، فيقول فيما نصه: (وأنَّ قوله تعالى" لم تحرم ما أحل الله لك" يوهم أنَّ هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب الوصف؛ وهو النبي ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم فكيف هو ؛ نقول: الظاهر أنَّ هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على أنَّ ما صدر منه لم يكن كما ينبغي)[7] .

ويرى الزمخشري أنَّ فعله ﷺ زلةٌ منه، فيقول: (وكان هذا زلةٌ منه، لأنه ليس لأحدٍ أن يحرم ما أحل الله لأنَّ عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في

---

[1] سورة المائدة، الآيتان رقم (٦٦) و (٦٧).
[2] الزمخشري، الكشاف، ج١، ص ٦٥٩.
[3] القرطبي (٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص ٢٤٢.
[4] الطبري: جامع البيان عن تفسير آي القرآن، ج١٣، ص ٤٧٥.
[5] السابق، ج١٣، ص ٤٧٥: ٤٨١.
[6] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص ١٨٤.
[7] الرازي: مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص ٥٦٨-٥٦٩.

إحلاله، فإذا حرم كان ذلك قلبُ المصلحةِ مفسدةٌ و" الله غفور" قد غفر لك وما زللت فيه " رحيم" فلم يؤاخذك به .....) [1].

ج- ما كان في مقام الامتنان وشاهده :

قوله تعالى: [**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**][الشرح : ١-٤] .

(يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ مذكره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضًا له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه) [2].

وكذلك في قوله تعالى : [**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**][الضحى: ٣]

والمعنى (ما تركك يا محمد ربك وما أبغضك، وقيل (وما قلى) ومعناه: وما قلاك اكتفاء بفهم السامع لمعناه، إذ كان قد تقدم ذلك قوله (ما ودعك) فعرف بذلك أن المخاطب به نبي الله ﷺ) [3].

د- ما كان في مقام الإرشاد والتوجيه:

ففي قوله تعالى [**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا**]

[الأحزاب: ٤٨]

المعنى (وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، والنفوذ لما كلفك.....)[4].

ويوجه الزمخشري المعنى بقوله ("وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ" معناه : الدوام والثبات على ما كان عليه، أو التهييج "أَذَاهُمْ" يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول، يعني : ودع أن تؤذيهم بضررٍ أو قتل، وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله في باطنهم، أو دع مايؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر)[5].

وفي هذا الخطاب مغايرة للتحييد فهو (يتخذ من التأكيد على انقطاع التواصل بين الرسول ﷺ والمشركين وسيلة لتمكين حقيقة تحييده ﷺ في مهمة التواصل) [6].

وكذلك الأمر في قوله تعالى:[**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**] [النمل: ٨٠]

[**وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ**]

[النمل: ٨١]

---

[1] الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص ٥٦٤.
[2] الطبري: جامع البيان، ج٢٤، ص ٤٩٣.
[3] السابق، ج٢٤، ص ٤٨٥.
[4] نفسه، ص ٢٨١.
[5] الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص ٥٤٧.
[6] د. عيد بلبع، دلائل الإحكام، ص ١٥٥.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ففوِّض إلى الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) لمن تأمَّله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحقّ،..... وقوله (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى، يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحقّ من طبع الله على قلبه فأماته، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ....) [1]

ويفسر الزمخشري الآية الكريمة بقوله:

(أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين، وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظنّ، وفيه بيان أنّ صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته، وأن مثله لا يخذل. فإن قلت { إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ } يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل، فما وجه ذلك؟ قلت وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله ﷺ من جهة المشركين وأهل الكتاب. من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالأذى والعداوة، فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله، بأن اتباعهم أمر قد يئس منه، فلم يبق إلاَّ الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم، وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس. لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله - فكانوا أقماع القول ([2] *) لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع .....) [3].

ويوجه د/ عيد بلبع الخطاب في قوله: (والتحييد هنا بنفي القدرة على الإسماع نتيجة لفساد استقبالهم فقد شاءوا لأنفسهم ألا يهتدوا ولم يشأ الله لهم ألا يضلوا فكانوا بذلك في موضع الموتى والصم الذين لا يسمعون، ولذلك فإنك لن تسمعهم لفقدانهم أداة التواصل التي من شأنها الاستقبال، وعلى هذا تنتفي عنه ﷺ مهمة أن يهدي العمي عن ضلالتهم. فنفي أن يسمع وأن يهدي ﷺ تحييدًا له عن مسئولية الإسماع والهداية) [4].

هـ- ما كان في مقام العتاب:

جاء عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ لطيف لين وعليه شاهدان، وكذلك جاء قاس خشن واستشهد عليه بشاهد واحد أما الأول؛ كما في قوله تعالى :

[عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ] [التوبة: ٤٣]

(وهذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتب نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه) [5]

---

[1] الطبري (ت ٣١٠): جامع البيان، ج١٩، ص ٤٩٥.

[2] أقماع القول: وفي الحديث" ويلٌ لأقماع القول" وهم اللذين يسمعون ولا يعملون به، شبه آذانهم بالأقماع يصب فيها الكلام صب الماء في الإناء، غريب الحديث للخطابي، ج١، ص ١٦٨.

[3] الزمخشري : الكشاف، ج٣، ص ٣٨٣.

[4] د/ عيد بلبع، دلائل الإحكام، ص ١٥٥- ١٥٦.

[5] الطبري، ج١٤، ص ٢٧٢.

وقوله تعالى (عفا الله عنك) هو (افتتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله وأعزك ورحمك! كان كذا وكذا. وعلى هذا التأويل يحسن الوقف على قوله (عفا الله عنك) ..... وأخبره بالعفو قبل الذنب لئلا يطير قلبه فَرَقًا)[1].

والثاني:

قوله تعالى: [**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**...] [الأنفال : ٦٧]

(هذه الآية نزلت يوم بدر، عتابًا من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ ، والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي ﷺ أسرى قبل الإثخان ... فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجهًا بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية. هذا قول أكثر المفسرين، وهو الذي لا يصح غيره .....)[2].

ويوجه ابن عطيه العتاب في الآية لأصحاب النبي ﷺ، فنراه يفسر الآية بقوله: (هذه الآية تتضمن عندي، معاتبة من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ، والمعنى ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي أسرى قبل الإثخان)[3].

أما اللون الثاني، عتاب قاس خشن، وشاهده، قوله تعالى [**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ¤ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ¤ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ**] [عبس : ١-٣]

ويجيب الرازي على سؤال فرضه، وهو كيف عاتب الله نبيه؟ بأنَّ المعاتبة لها وجهان؛ (الأول: أنَّ الأمر وإنْ كان على ماذكرتم[4] إلا أنَّ ظاهر الواقعة يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء وانكسار قلوب الفقراء. فلهذا السبب حصلت المعاتبة، ونظيره قوله تعالى [**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**] [الأنعام: ٥٢].

والوجه الثاني: لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه الصلاة والسلام من الفعل الظاهر، بل على ما كان منه في قلبه، وهو أن قلبه عليه الصلاة والسلام كان قد مال إليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو منصبهم. وكان ينفر طبعه عن الأعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه، فلما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية وقعت المعاتبة، لا على التأديب بل على التأديب لأجل هذه الداعية .....)[5]

ويوجه الزرقاني العتاب توجيها يليق بحضرة النبي ﷺ فيقول فيما نصه: (وجد الرسول نفسه بين قوم غلاظ مشركين يدعوهم إلى الإسلام ورجل وديع مسلم يستزيده من العلم، فآثر الإقبال على أولئك الصناديد وعبس في وجه ابن أم كلثوم هذا وأعرض

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص ١٥٤، الفَرَق بالتحريك: الخوف والفزع.
[2] القرطبي ، ج٨، ص ٤٦.
[3] ابن عطية: المحرر الوجيز، ج٢، ص ٥٥١.
[4] يقصد أنَّ أم مكتوم يستحق التأديب لقطعه كلام الرسول ﷺ مع أولئك الكفار وبإسلامهم خير عظيم.
[5] الرازي: مفاتيح الغيب، ج٣١، ص ٥٢-٥٣-٥٤.

عنه لا احتقارًا له وغضًّا من شأنه – ولكن حرصًا على هداية هؤلاء؛ خوفًا من أن تفوت هذه الفرصة السانحة لدعوتهم، فأنزل الله على رسوله تلك الآيات السالفة يعاتبه فيها ذلك العتاب القاسي الخشن، ويفهمه أن حرصه على الهداية ما كان ينبغي أن يصل به إلى حد الإقبال الشديد على هؤلاء الصناديد وهم عنه معرضون ولا إلى حد الإعراض العابس في وجه هذا الضعيف الأعمى وهو عليه مقبل .

وكأني بك تحس حرارة هذا العتاب وذلك لتقرير مبدأ من المبادىء العالية هو الإعراض عن المعرضين مهما عظم شأنهم، والإقبال على المقبلين مهما رق حالهم [**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**] [الكهف:٢٨] ولعلك تلمح معي من وراء هذا العتاب رحمة الرسول بأعدائه وإخلاصه لدعوته وتفانيه في وظيفته وحرصه على هداية الناس أجمعين زاده الله شرفًا على شرفه وعزًا على عزه آمين) [١].

و- **ما كان في مقام التعريض:**

ففي قوله تعالى :

[**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**] [النساء: ١١٣]

والمعنى ولولا أن الله خصك بالفضل وهو النبوّة، وبالرحمة وهي العِصمةُ؛ فقد عصمك من كيد الناس وأذاهم، وأحاطك علمًا بما يبيتونه من سوء لهمت طائفة منهم أن يضلوك، وذلك لأن قوم (طعمة) كانوا قد عرفوا أنه سارق، ثم سألوا النبي عليه السلام أن يدفع ويجادل عنه ويبرئه عن السرقة، وينسب تلك السرقة إلى اليهودي، ومعنى يضلوك أي يلقوك في الحكم الباطل الخطأ[٢].

ويفسرها الطبري بقوله (ولولا أن الله تفضل عليك يا محمد فعصمك بتوفيقه وتبيانه لك أمر هذا الخائن، فكففت لذلك عن الجدال عنه، ومدافعة أهل الحقّ عن حقهم قبله..... فكل ذلك من فضل الله عليك يامحمد، منذ خلقك فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك، بالتمسك بطاعته والمسارعة إلى رضاه ومحبته ....) [٣]

ويوجه الطبري الخطاب في الآية الكريمة على أنه تنبيه، فيقول فيما نصه (وهذه الآية تنبيه من الله نبيه ﷺ على موضع خطئه وتذكير منه له الواجب عليه من حقه) [٤].

[١] الزرقاني: مناهل العرفان، ج٢، ص ٣٩٥.
[٢] الرازي (ت ٦٠٦هـ) : مفاتيح الغيب، ج١١، ص ٢١٦.
[٣] الطبري: جامع البيان ، ج٩، ص ٢٠٠-٢٠١
[٤] السابق، ج٩، ص ٢٠١.

وفي قوله تعالى : [**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**] [النساء:١٠٦].

ويفسرها الطبري بقوله (ولا تكن لمن خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ما له خصيماً، تخاصم عنه، وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه. وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ، يا محمد، وسله أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن من خان مالا لغيره..... فافعل ذلك أنت يا محمد، يغفر الله لك ما سلف من خصومتك عن هذا الخائن)[١]، (واختلف أهل التأويل في خيانتهﷺ التي كانت منه، فوصفه الله تعالى بها)[٢].

وينص الطبري على ما يدل عليه ظاهر الآية أي؛ (قول من قال: كانت خيانته التي وصفه الله بها في هذه الآية، جحوده ما أودع، لأن ذلك هو المعروف من معاني (الخيانات) في كلام العرب، وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من معاني كلام العرب ما وجد إليه سبيل، أولى من غيره)[٣].

ويرى القرطبي أنَّ (في هذه الآية تشريف للنبي ﷺ وتكريم وتعظيم وتفويض إليه، وتقويم أيضا على الجادة في الحكم، وتأنيب على ما رفع إليه من أمر بني أبيرق)[٤].

وكذلك يرى القرطبي عمومية الخطاب، فيقول : (والخطاب للنبي ﷺ والمراد منه الذين كانوا يفعلونه من المسلمين دونه أحدهما: أنه تعالى أبان ذلك بما ذكره بعد قوله [**هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**][٥]، والآخر : أن النبي كان حكما فيما بينهم، ولذلك كان يعتذر إليه، ولا يعتذر هو إلى غيره، فدل على أنَّ القصد لغيره)[٦].

وفي قوله تعالى [**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**] [الأحزاب:١]، الخطاب له ﷺ ولأمته[٧].

وكذلك قوله تعالى[**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**] [الأنعام:١٠٦].

وفي الآية الكريمة (أمران للنبيﷺ مضمنها الاقتصار على اتباع الوحى وموادعة الكفار)[٨].

---

[١] الطبري: جامع البيان، ج٩، ص ١٧٦.
[٢] الطبري: جامع البيان، ج٩، ص ١٧٦، تعدد الروايات في تعينيها وليس هنا موضع بسطها، انظر : الطبري: جامع البيان، ج٩، ١٧٥-١٨٨.
[٣] السابق، ج٩، ص ١٨٨.
[٤] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص ٣٧٥.
[٥] النساء: ١٠٩.
[٦] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص ٣٧٧.
[٧] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص ١١٥.
* يقصد قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) [الأنعام:١٠٧].
[٨] الطبري: جامع البيان، ج٢، ص ٣٣٢.

ويفصل هذا القول د/ عيد بلبع في قوله : (وتأمل الأمر بفعل الإعراض الذي يبرر الأمر بفعل الاتباع، فلو كان التخلي عن الاتباع بغرض استمالة المشركين فإن استمالتهم هذه ليست بذات بال عند الله تعالى ولو كانت بذات بال عند الله تعالى لشاء لهم ألا يشركوا*، وبذلك يأتي أسلوب الشرط الدال على امتناع مشيئة الله عدم إشراكهم مدعمًا للإعراض عنهم، فألا يشاء الله ألا يشركوا هو إعراض من الله تعالى عنهم، ومن ثم لزمك الإعراض عنهم، ومن ثم لزمك اتباع ما أوحى إليك، ثم تحدد الآية في التعقيب على أسلوب الشرط مهمة الرسول ﷺ في علاقته بالمشركين وذلك ينبغي أن يكون ﷺ مسئولاً عنهم، ينبغي أن يكون الله عز وجل قد جعله حفيظًا عليهم، ونفى أن يكون هو ﷺ وكيلاً عليهم، ومن ثم فليس عليهﷺسوى أن يتبع ما أوحى إليه)[1].

❖ **ويلحق بهذا القسم[2]؛ (الخاص والمباشر بالنبي ﷺ لونٌ آخر من الخطاب، ألاَّ ألاَّ وهو أن يكون الخطاب عامًا والمراد به الرسول ﷺ.**

كما في قوله تعالى: [**لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**] [الأنبياء:١٠] (والمراد بالذكر هنا الشرف، أي فيه شرفكم، مثل [**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**] [الزخرف:٤٤]، ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال عزو وجل [**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**] وقيل فيه ذكركم أي ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها؟ وقال مجاهد فيه ذكركم، أي حديثكم. وقيل : مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم. وقال سهل من عبد الله : العمل بما فيه حياتكم. قلت : وهذه الأقوال بمعنى والأول يعمها، إذ هي شرف كلها، والكتاب شرف لنبينا ﷺ ، لأنه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قول عليه السلام (القرآن حجة لك أو عليك)[3].

والآية التي تسبق الآية الكريمة التي نحن بصددها، قوله تعالى : [**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**] [النساء:٧]

الخطاب فيها موجهٌ لنبي ﷺ وفيها (تأنيسٌ لنبيه ﷺ، أي لم يرسل قبلك إلاَّ رجلا)[4].

ويفسرها الزمخشري بقوله: ([**ذِكْرُكُمْ**] شرفكم وصيتكم كما قال [**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**] أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق.....)[5] .

[1] د/ عيد بلبع، دلائل الأحكام، ص ١٥٤.
[2] لم أشأ أن أجعله قسمًا مستقلاً لقلة شواهده .
[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص ٢٧٣.
[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص ٢٧١.
[5] الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص ١٠٥.

وكـذلك فـي قولـه تعـالى (**أَمْ يَحْسُـدُونَ النَّـاسَ عَلَـىٰ مَـا آتَـاهُمُ اللَّهُ مِـن فَضْـلِهِ**) [النساء: ٥٤]

(وأما قوله (الناس) فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني الله بهم، فقال بعضهم : عني الله بذلك محمد ﷺ خاصة)[١].

وجاءت به الروايات منسوبة لعكرمة. والسدي، وابن عباس، ومجاهد والضَحاك[٢].

وينص الزجاج على أن المعني بالخطاب محمد ﷺ، فيقول : (وهنا يعني به – النبي ﷺ- كانت اليهود قد حسدنه على ما أتاه الله من النبوة في آل إبراهيم عليه السلام، فقيل لهم: أتحسدون النبيﷺ وقد كانت النبوة في آله وهم آل إبراهيم عليهما السلام... وقيل في التفسير إن اليهود قال: إن النبي ﷺ شأنه حسدًا لما أحلَّ له منهن فأعلم الله جلَّ وعَّز أن آل إبراهيم قد أوتوا ملكًا عظيمًا ... وقال بعضهم نالوا من النساء أكثر مما نال محمد - ﷺ - كان لداود مائة امرأة، وكان لسليمان ألف بين حُرَّة ومملوكة. فما بالهم حسدوا النبي ﷺ)[٣].

وفي قوله تعالى [**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**][المؤمنون:٥١]٠

(والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، وأنه أقامه مقام الرسل) [٤] وللقرطبي تخريج لتوجيه لتوجيه الخطاب، حيث يرد على مَنْ قال إن الخطاب لعيسى عليه السلام فيما نصه: (ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من تقديره لمحمد ﷺ تشريفًا له)، (وروى أنه – عيسى عليه السلام – كان يأكل من غزل أمه، والمشهور أنه كان يأكل من بقل البرية)[٥]، (وأطيبُ الطيباتِ الغنائمُ)[٦].

وينص الزجاج على أن الخطاب في الآية الكريمة موجهٌ للنبي ﷺ وغيره من الرسل، فيقول : (وإنما خوطب بهذا رسول الله - ﷺ - فقيل يا أيها الرسل وتضمن هذا الخطاب أن الرسل جميعًا كذا أمروا)[٧]

أما قوله تعالى :[**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**][الأنعام:٣٥]

---

[١] الطبري : جامع البيان، ج ٨، ص ٤٧٦.
[٢] الطبري : جامع البيان، ج ٨، ص ٤٧٦ – ٤٧٧.
[٣] الزجاج: معاني القرآن، ج٢، ص ٦٤.
[٤] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ١٢٧.
[٥] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ١٢٨.
[٦] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ١٢٨ والزجاج : معاني القرآن، ج٤، ص ١٥.
[٧] الزجاج : معاني القرآن، ج٤، ص ١٥.

بسط المفسرون القول في توجيه الخطاب في قوله تعالى [**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**] ومع كثرة الاحتمالات والاختلافات، أنص على توجيه أبي حيان وذلك في قوله:

([**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**] تقدم قول ابن عطية[1] في أن تأسف وتحزن على أمر أراده الله تعالى، وأمضاه، وعلم المصلحة فيه. وقال أيضًا: ومن الجاهلين يحتمل في أن لا تعلم أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى، ويحتمل في أن تهتم بوجود كفرهم الذي قدره الله وأراده، وتذهب بك نفسك إلى مالم يقدر الله ، وضعف الاحتمال الأول بأنه ﷺ مع كمال ذاته وتوفر معلوماته وعظيم اطلاعه على ما يليق بقدرة الحق جل جلاله واستيلائه على جميع مقدوراته، لا ينبغي أن يوصف بأنه جاهل بأنه تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى، لأنَّ هذا من قبيل الدين والعقائد، فلا يجوز أن يكون جاهلاً بها، وكأن الزمخشري[2] قد فسر قوله: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن تأتيهم آية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فقال في قوله: فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك، ويرومُون ماهو خلافه، وأشار بذلك إلى الإتيان بالآية الملجئة إلى الإيمان .....وقال مكي[3] والمهدوى [4] الخطاب له والمراد به أمته، وتمم هذا القول بأنه بأنه كان يحزنه إصرار بعضم على الكفر وحرمانهم ثمرات الإيمان)[5] .

❖ **ومما نجزم به أن الآيات التي يخاطب لها الله تعالى نبيه ﷺ بنزول الرسالة عليه؛ هي خاصة به ولا تتجاوز غيره، فهو المخصوص بالوحي والرسالة من ربه .**

وقد حاولتُ حصر هذه الآيات وقد بلغت في حصري اثنتي وخمسين آية وذلك في قوله تعالى :

١- {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: ٤]

٢- {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} [البقرة: ٩٩]

٣- {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: ١١٩]

٤- { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٥١]

٥- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: ٦٤]

---

[1] ابن عطية : (٥٤٢هـ) المحرر الوجيز، ج٢، ص ٢٨٧.

[2] الزمخشري : (٥٣٨هـ) ، الكشاف، ج٢، ص ٢٠ .

[3] مكي : (٤٣٧)، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلس القرطبي المالكي .

[4] المهدوي : (٥٣٦ هـ) أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي.

[5] أبو حيان: البحر المحيط، ج٤، ص ٤٩٥.

٦- {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء: ٧٩]
٧- {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } [النساء: ٨٠]
٨- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء: ١٦٣]
٩- {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: ١٩]
١٠- {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: ١٠٦]
١١- {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: ١٤٥]
١٢- {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣]
١٣- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يوسف: ١٠٩]
١٤- {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]
١٥- { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد: ٣٨]
١٦- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ} [الحجر: ١٠]
١٧- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]
١٨- { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٣]
١٩- {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء: ٣٩]

٢٠- {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا } [الإسراء: ٥٤]

٢١- {إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء: ٧٣]

٢٢- {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٧]

٢٣- {وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا } [الإسراء: ٨٦]

٢٤- {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٥، ١٠٦]

٢٥- {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الكهف: ٢٧]

٢٦- {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأنبياء: ٧]

٢٧- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]

٢٨- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]

٢٩- { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج: ٥٢]

٣٠- {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: ٢٠]

٣١- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } [الفرقان: ٥٦]

٣٢- { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧]

٣٣- {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: ٤٥]

٣٤- {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]

٣٥- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سبأ: ٢٨]

٣٦- {مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ } [سبأ: ٤٤]

٣٧- { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤]

٣٨- {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} [فاطر: ٣١]

٣٩- {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

٤٠- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ [غافر: ٧٨]

٤١- {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى: ٧]

٤٢- {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى: ١٣]

٤٣- {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} [الشورى: ٤٨]

٤٤- {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى: ٥٢]

٤٥- {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣]

٤٦- {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الزخرف: ٤٣]

٤٧- {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف: ٤٥]

٤٨- {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الفتح: ٨]

٤٩- {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [الفتح: ٢٨]

٥٠- {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: ٩]

٥١- {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} [الجن: ١]

٥٢- {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} [المزمل: ١٥]

المبحث الثاني :
الخطاب الضمني؛ خاص ويراد به عموم الأمة :

ينص القرطبي على عمومية الخطاب الموجه للنبي ﷺ ويقول: (فلزم اتباعه مطلقًا حتى يدل دليل واضح على الخصوص)[١] .

ويرى القرطبي أن قصر الخطاب على النبي ﷺ (يلزم أن تكون الشريعة قاصرة على من خوطب بها)[٢].

وجاء هذا الخطاب في ألوان، منها :

١- **خطاب التشريف،** وهو كل مافي القرآن مخاطبة بـــــ (قل) فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن بخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة[٣] .

ونشير إلى أن (المستوى المتعلق بمسئولية الرسالة ينطوي على نمطين من الخطاب لتحقيق غايتين، فأما إقرار هذه الحقيقة في نفوس الناس فقد جاء في مقولة القول للأمر بالفعل (قل)، وبيان ذلك على النحو التالي :

١- إقرار الحقيقة في نفسة لإقرار حقيقة الاتباع للقران الكريم، ولإقرار حقيقة أن الدعوة إنما تكون بالقرآن، وأن التواصل إنما يتحقق بالقرآن، وأن الأثر والتاثير إنما هو للقرآن، فلعل في هذا تثبيتًا لليقين بالمعجزة في نفسه ﷺ، ومن هنا تحديد مهمته ﷺ في التذكير والإنذار والإبلاغ، فياتي إقرار حقيقة الفصل بين المعجزة والرسول في نفسه ﷺتحقيقًا لتحييده ﷺ في مهمة التوصيل، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى يأتي الإقرار لهذه الحقيقة تخفيفًا على النبي ﷺمن عبء الدعوة، وما يتبع هذا العبء من الحزن عليهم والأسف والحسرة الناتجة من عدم الاستجابة، إنه

[١] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص ٣٦٤.
[٢] السابق، ج٥، ص ٣٦٤.
[٣] الاتقان : السيوطي ، ج٣، ص ١١٥.

بعثٌ للاطمئنان في نفس النبي ﷺ بأن الاستجابة ستتحقق، وأن عناد المعاندين لن يؤثر إلا عليهم في عاقبتهم، وأن هذا القرآن حجة عليهم وإنذار لهم، إن في هذا التحديد تحييد لنفسه ﷺعن طاعتهم أو إكراههم أو الحزن عليهم.

٢- وأما إقرار هذه الحقيقة للناس فنجد فيها التأكيد الضمني على بشرية النبيﷺ؛حتى يكفوا عن سؤاله التبديل والتغير في المعجزة، أو على الأقل للرد عليهم في سؤالهم إياه هذه المعجزات والآيات، وتخليصا له صلى الله عليه وسلم من المواجهة، ليواجهوا المعجزة بخصائصها من القدرة والدوام والبقاء[١].

ونشير إلى أن الخطابات في مقولة القول للأمر بالفعل (قل) (قد جاء فيها النبي ﷺ مخاطباً ضمنيًا، لأنه مستهدف بتمكين تلك الحقائق في نفسه ﷺ تحييدًا وتثبيتًا، ونجد في هذا النمط التأكيد الدائم على بشرية النبي ﷺ؛ حتى يكفوا عن سؤاله التبديل والتغيير في المعجزة، أو على الأقل للرد عليهم في سؤالهم إياه هذه المعجزات والآيات، وتخليصًا له ﷺ من المواجهة، ليواجهوا المعجزة بخصائصها من القدرة والدوام والبقاء .

وأنبه إلى الإبلاغ بمقول قول الأمر بالفعل (قل) يحمل دلالة التحييد، وذلك بقصر مهمته ﷺ على نقل مقول القول مضمنًا الفعل نفسه،ﷺ عن مهمة تحقيق الاستجابة عندهم ﷺ عليهم حال تكذيبهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر.

والتحييد في مقول القول بالمصرح فيه بالأمر بالفعل (قل) يبين لنا حقيقة أن هذا النمط من الخطاب يحمل دلالة إقرار الرسولﷺ بالتحييد، كما يحمل رسالة ضمنية إلى المكذبين بحياده ﷺ، كما يحمل رسالة مفتوحة للمصدقين على مر الزمن بما كان عليه ﷺ من حياد في مسائل التلقي والتبليغ)[٢] .

وشواهد هذا اللون من الخطاب لا حصر لها ..... منها :

وقوله تعالى : [**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**]

والمعنى : ((قل)) لهم يامحمد (مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) أي من عندي ..... والتبديل الذي سألوه .... أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا والحرام

[١] د/ عيد بلبع: دلائل الإحكام، ص ١٥٢-١٥٣.
[٢] د/ عيد بلبع: دلائل الإحكام، ص ١٥٨-١٥٩ .

حلالاً والحلال حراما، فأمر الله نبيهﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يرد حكمه، ولا يتعقب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلغ ومأمور متبع)[1] .

ويوجه الزمخشري الخطاب بأنه:

(غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين، فقالوا: ائتِ بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر أن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان.....وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان ما يكون لي وما ينبغي لي وما يحل، كقوله تعالى : [**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**....] ..... فإن قلت: أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا: ائتِ بقرآن غير هذا، قلتُ: بلي، ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ..... فإن قلت: فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح؟ قلتُ : الكيد والمكر. أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله، فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل والتغيير، فللطمع ولا اختيار الحال . وأنه إن وجد منه تبديل، فإما أن يهلكه الله فينجو منه أولا يهلكه فيسخروا منه، ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله)[2] .

❖ ويلمح د/ عيد ملمحًا دقيقًا ؛ ألاَّ وهو (توافق الأمر بفعل القول " قل" مع " من تلقاء نفسي" في تحييد الذات تماما، والتأكيد على مطلق الاتباع، ثم يأتي التعقيب (إني أخاف) مؤكدًا على ذلك. بإدخال الحالة النفسية ضمن مقول القول الموحي إلى النبي ﷺ من ربه عز وجل، ففي الإعلان عن هذا الحالة إظهار لهم بالتحييد المؤكد على التنزيه عن الافتراء)[3].

ثانيًا: وفي قوله تعالى [**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**] [سورة يونس: ١٠٨] [**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**] [سورة يونس: ١٠٩].

والمعنى (قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة، فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلاّ نفسه، ومن آثر الضلال فما ضرّ إلاَّ نفسه. (واللام وعلى) دلا على معنى النفع والضرّ. وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل.....

[1] الطبري: الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص ٤٠.
[2] الزمخشري، الكشاف ، ج٢، ص ٣٣٤، والآية ١١٦ من سورة المائدة.
[3] د/ عيد بلبع، دلائل الإحكام ، ص ١٦٠.

واصبر على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم حتي يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة)[1].

ويبين د/ عيد بلبع على توافق نهاية السورة (يونس) مع ما جاء في أولها .... في قوله: (ثم يأتي ختام السورة مؤكدا قضايا التحييد والحياد في التبليغ بالأمر بالفعل (قل): ([**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**] [يونس :١٠٨] ثم بالأمر الصريح للنبي ﷺ بالاتباع المطلق مردوفًا بالأمر الصريح بالصبر [**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ .....**] [سورة يونس: ١٠٩] لتتوافق نهاية السورة مع ما جاء في أولها من أنَّ الذي أوحي إليه (رجل منهم): [**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ**] [يونس:٢].

تأكيدًا على بشرية الرسول ﷺ، وفضلاً بينه وبين الحجة والمعجزة والرسالة فصل احتراز من الاتهام بالابتداع والافتراء، وليس فضلاً مطلقًا) [2].

وفي كلام د. عيد بلبع إشارة إلى الأمر الصريح بالصبر؛ فعن (ابن عباس : لما نزلت جمع النبي ﷺ الأنصار ولم يجمع معهم غيرهم قال : (إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) وعن أنس بمثل ذلك ثم قال أنس: فلم يصبروا فأمرهم بالصبر كما أمره الله تعالى، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان :

أَلاَّ أَبلِغْ مُعاوَية بن حَرْبٍ ... أميَر المؤمَنين نثا [3]* كلامي
بأنا صابُرونَ ومنْظروكُمْ .... إلى يوم التَّغابُن والخِصامِ [4].

ب- ما يعبر بالنبي في مقام التشريع العام مع وجود قرنية إرادة التعميم :

كما في قوله تعالى [**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**] [الطلاق:١]

إنَّ (احتمال تخصيص النبي بالخطاب وجوة؛ أحدهما: اكتفاء بعلم المخاطبين بأن ما خوطب به النبي ﷺ خطاب لهم إذا كانوا مأمورين بالاقتداء به إلاَّ ما خص به دونهم، فخصه بالذكر ثم عدل بالخطاب إلى الجماعة، إذ كان خطابه خطابًا للجماعة، والثاني: أن تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، والثالث: على العادة في خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الاتباع.....)[5].

---

[1] الزمخشري، الكشاف ، ج٢، ص ٣٧٥.، ومقصود الزمخشري من قوله (واللام وعلى) قوله (فإنما يهتدي لنفسه) و (فإنما يضل عليها) .

[2] د/ عيد بلبع، دلائل الإحكام ، ص ١٦٢.

[3] عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر من حرام من عمر والأنصاري ت ١٠٤ هـ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٣٨٩، ثنا: الثنا في الكلام يطلق على القبيح والحسن، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٩٨هـ) ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، البحر العروضي : الوافر .

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٥، ص ٣٤٦.

وكذلك في قوله تعالى [**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ**] [النساء:١٠٢] (وهذه الآية خطابٌ للنبي ﷺ ، وهو يتناول الأمراء بعده إلى يوم القيامة، ومثله قوله تعالى [**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً**] [التوبة: ١٠٣]، وهذا قول كافة العلماء.... وشذ أبو يوسف وإسماعيل بن عُلَّية فقالا: لا نصلي صلاة الخوف[١]. بعد النبي ﷺ فإن الخطاب كان خاصًا له بقوله تعالى [**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ**]، وإذا لم يكن فيهم لم يكن ذلك لهم لأن النبي ﷺ ليس كغيره في ذلك..... وقال الجمهور: إنا قد أمرنا باتباعه والتأسى به في غير ما آيةٍ، وغير حديث.....)[٢] .

وينص القرطبي على عمومية الخطاب، بقوله: (فلزم اتباعه مطلقاً حتى يدل دليل واضح على الخصوص..... ولو كان ما ذكروه دليلاً على الخصوص للزم قصر الخطابات على من توجهت له وحينئذ كان يلزم أن تكون الشريعة قاصرة على من خوطب بها .....)[٣] .

ج- ما قد يخرج على غير معَّين ليفيد العموم.

كما في قوله تعالى [**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**] [البقرة: ٢٥] ففي تعيين المأمور بالتبشير وجهان: (كُلّ من يصلح للبشارة من غير تعيين. قال الزمخشري: وهذا أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوقٌ بأن يبشر به كُلَّ من قدر على البشارة به، انتهى كلامه. والوجه الأول عندي أولى لأنَّ أمره ﷺ لخصوصيته بالبشارة أفخم وأجزل وكأنه ما اتكل على أن يبشر المؤمنين كل سامع، بل نص على أعظمهم وأصدقهم ليكون ذلك أوثق عندهم وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمة. إذ تبشيره ﷺ تبشيرٌ من الله تعالى)[٤] .

وفي قوله تعالى [**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**] [سبأ: ٥١] يقول الطبري في توجيه الخطاب فيها (واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية)[٥]

فذكر أنه قد يكون المعنى لها : المشركون أو جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض أو المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم[٦] .

---

[١] أ- أبو يوسف: القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام ابي حنيفة يعقوب بن إبراهيم ت١٨٢هـ .
ب- إسماعيل بن عليه: إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم العلامة، الحافظ، المشهور، بابن عليه وهي أمه كان فقيهًا، مفتيًا من أئمة الحديث ت ٩٣هـ.

[٢] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ج٥، ص ٣٦٤.

[٣] السابق، والجزء والصفحة نفسها.

[٤] أبو حيان: البحر المحيط ، ج١، ص ١٧٩.

[٥] الطبري: الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص ٤٢١.

[٦] الطبري: جامع البيان، ج٢٠، ص ٤٢١-٤٢٤ .

أما ما يرجحه الطبري فنصه؛ (فتأويلُ الكلام : ولو ترى يامحمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معانيتهم عذاب الله (فلافوت) يقول : فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم أو يعجزنا هربًا وينجوا من عذابنا)[1].

وفي قوله تعالى [**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**] [النساء: الآية ٧٨- ٧٩]

والمعنى (ما يصيبك، يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة، فمن فضل الله عليك، يتفضل به عليك إحسانًا منه إليه .....وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك، يعني: بذنب استوجبتها به، اكتسبته نفسك)[2].

وقوله (وأرسلناك للناس رسولا) أي؛ (إنما جعلناك، يا محمد رسولاً بيننا وبين الخلق، تبلغهم ما أرسلناك به من رسالة، وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من أرسلت..... فإن قبلوا ما أرسلت به فلأنفسهم، وإن ردُّوا فعليها .....)[3].

وفي الآية الكريمة شاهدٌ على (التأكيد على تحييد رسول الله ﷺ عن القرآن، أي فصل الرسالة عن الرسول)[4].

ويوجه القرطبي الخطاب وأنه للعموم بقوله: (والخطاب للنبيﷺ، والمراد أمته، أي ما أصابكم يا معشر (الناس) من خصب واتساع رزق فمن تفضل الله عليكم وما أصابكم من جَدْب وضيق رزق فمن أنفسكم أي من أجل ذنوبكم وقع ذلك بكم)[5].

وكذلك التوجيه في قوله تعالى [**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**] [يونس: ١٠٧].

فإنَّ (الخطاب وإن كان في الظاهر للنبي ﷺ، فالمرادُ غيره لأنه ﷺ لم يدع من دون الله شيئًا ألبته فيكون المعنى ولا تدع أيها الإنسان من دون الله ما لا ينفعك)[6].

وينص القرطبي على عمومية الخطاب، ويقول: (والخطاب له والمراد غيره)[7]، غيره)[7]، وذلك في الآية التي تسبق الآية الكريمة – التي نحن بصددها- ؛ وهي قوله تعالى [**وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ**] [يونس: ١٠٦]

---

[1] السابق، ج٢٠، ص ٤٢٤.
[2] الطبري: جامع البيان، ج٨، ص ٥٥٨.
[3] السابق، ج٨، ص ٥٦١.
[4] د/ عيد بلبع: دلائل الإحكام، ص١٥٠.
[5] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص ٢٨٥.
[6] الخازن: لباب التأويل، ج٢، ص ٤٦٨.
[7] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٣٨٨.

أما الطبري فيخصص الخطاب بالنبي ﷺ، ولم يقل بعمومية الخطاب، وهذا نص كلامه : (يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يصبك الله يا محمد بشدةٍ، أو بلاء فلا كاشف لك إلاَّ ربك الذي أصابك به)[1] .

د- ما قد يكون خطاب عين والمراد غيره :

وذلك كما في قوله تعالى: [**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ**] [آل عمران: ١٩٦].

ويوجه الزمخشري الخطاب في الآية الكريمة، في قوله : (لا يغرنك) الخطاب لرسول الله ﷺ، أو كل أحدٍ، أي لا تنظر إلى ماهم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاحل وإصابة حظوظ الدنيا، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد.....)[2] .

وكذلك ينزه الزمخشري النبي ﷺ عن الاغترار، في قوله: (فإن قلت : كيف جاز أن يغتر رسول الله ﷺ بذلك حتى ينهي عن الاغترار به؟ قلتُ فيه وجهان: أحدهما أنَّ قدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيءٍ فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعًا، فكأنه قيل: لا يغرنكم، والثاني: أن رسول الله ﷺ كان غير معزور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه، وثبت على التزامه كقوله [**وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**][3] وقوله تعالى [**فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**][4] **و** و [**وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**][5] وهذا في النهي نظير قوله تعالى [**اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**][6] و [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**.....] وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهي في المعنى للمخاطب، وهذ من تنزيل السبب منزلة المسبب لأنَّ التقلب لو غره لأغتر به، فمنع السبب ليمتنع المسبب)[7] .

[1] الطبري: جامع البيان، ج١٥، ص ٢١٩.
[2] الزمخشري: الكشاف ، ج١، ص ٤٥٧.
[3] سورة هود: ٤٢
[4] سورة القلم: ٨.
[5] سورة الأنعام: ١٤.
[6] سورة الفاتحة: ٦.
[7] الزمخشري: الكشاف، ج١، ص ٤٥٨.

(خاتمة)

وأختم بخلاصة ما جاء في دراستي هذه، وهي ما يلي ذكره:

١- تختلف رؤى المفسرين تجاه توجيه الخطاب، ومن المعنى به، وأقصد هل جاء الخطاب قاصرٌ على الرسولﷺ أم عام لأمته؟ وما يستدل به المفسرون من أقوال الصحابة؛ فالصحابةُ هم أعلمُ بالمقال وأقعد بالحال.

٢- ما عليه جُلُّ المفسرين أنه يلزم اتباع ما أمر به النبي، أو ما كان موجهًا له ﷺ اتباعًا مطلقًا، حتى يدل دليل واضح على الخصوص وأنَّ قصر الخطاب على النبي يُلزم أن تكون الشريعة قاصرة على من خوطب بها .

٣- التحييد وفصل الرسالة عن الرسول سمة جلية في الخطاب الموجه للنبي ﷺ بنمطيه؛ المباشر والضمني .

٤- وفي مواضع ليست بالوفيرة من عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه، خرجت من حدود العتاب إلى التنبيه .

والله الموفق

وآخر دعواهم [أن الحمدُ لله رب العالمين] الآية [يونس: ١٠]

ثبت المصادر والمراجع

- **ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن تمام بن عطية الأندلسي ت ٥٤٢ هـ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٢هـ.**
- **ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي المتوفي ٣٩٥هـ: مجمل اللغة: ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٦ م.**
- **ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي – أبو الفضل- جمال الدين الأنصاري الأفريقي ٧١١هـ ، لسان العرب: ط٣، دار صادر بيروت ١٤١٤هـ .**
- **أبو البقاء الحنفي: أيوب بن موسى الحصيني القريمي الكفوي ت ١٠٩٤هـ .. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري.**
- **أبو حيان : أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت ٧٤٥هـ - البحر المحيط في التفسير ، ط دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.**
- **الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: أبو منصور ت ٣٧٠هـ، تهذيب اللغة، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب**
- **الباردي: محمد الباردي، أنشائية الخطاب مركز النشر الجامعي تونس ٢٠٠٤.**
- **الخازن: علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن ٧٤١هـ لباب التأويل في معاني التنزيل، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥هـ.**

- الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ٣٨٨هـ ، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، غريب الحديث : دار الفكر دمشق ١٩٨٢م.
- الرازي: فخر الدين الرازي خطيب الري، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي ت ٦٠٦هـ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢٠هـ .
- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، الملقب بمرتضى الزَّبيدي ١٢٠٥هـ، تاج العروس: ط: دار الهداية.
- الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ت ٣١١هـ معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
- الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني ١٣٦٧هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط٣، عيسى البابي الحلبي.
- الزركشي : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٧م.
- الزمخشري: جار الله الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ت ٥٣٨هـ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ .
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٩٨هـ) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الطبري: أبو جعفر الطبري: محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- عصفور: جابر عصفور، آفاق العصر، ط دار الهدى، ١٩٩٧م.
- عيد بلبع(دكتور)، دلائل الإحكام مقدمة في نظرية الإعجاز والبلاغة القرآنية، ط١، دار النابغة، طنطا – مصر، ٢٠١٩م.
- القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، دار الكتب المصرية ، تحقيق: أحمد البردوني – إبرتهيم أطفيش ، القاهرة، ١٩٦٤م.
- لامية بوداود: تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر، رسالة ماجستير، بالرابط : https://bu.umc.edu.dz/theses/arabic/ABou3210
- يقطين: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط٣، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.